Archive of SID

أ. السيد خليل ابراهيم الشوكي
باحث اسلامي -ايران

تداعيات العنف في إخفاق الوحدة بين المسلمين

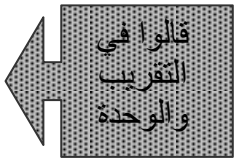

العنف ينتهج أسلوباً مغايراً للطبيعة الإنسانية، فقوامه إنكار الآخر كقيمة متماثلة للأنا أو للنَّحن، كقيمة تستحق الحياة والاحترام،فهو يُلغي الطرف الآخر عن حلبة صراعه، إما بخفضه إلى تابع، وإما بنفيه خارج الساحة, وإما بتصفيته معنوياً أو جسدياً.(إذن معنى العنف الأساسي في المنظور الاجتماعي والسوسيولوجي هو عدم الاعتراف بالآخر، رفضه وتحويله إلى الشيء (المناسب) للحاجة العنفية إذا جاز الكلام. وعدم الاعتراف لا يعني عدم المعرفة، بل يعني معرفة معينة (مقولبة) فهنا الفاعل العنفي يراقب المقابل، يتصوره بالطريقة المناسبة لرسم صورته (الضحية) وللتحكم بصيرورته)[1].

www.SID.ir

Archive of SID

فنحن نرى أن العنف بإرهاصاته ومئوالياته الكثيرة هو أحد الأسباب الرئيسة لإخفاق مشاريع توحيد الصف الإسلامي ,فالعنف لم يعد ظاهرة تقتصر على بقعة من الأرض , وإنما غدت ظاهرة دولية يلجأ إليها أقطاب الصراع في تحقيق أهدافهم ومآربهم المنشودة حتى يشل في الواقع نمو المشاركة الجماهيرية الأوسع إذ يبدني في النهاية (الدولة- الفئة) ضد مشروع (الدولة- الأمة) الذي وحده يناط به إلغاء السلطات التقليدية، وصهرها في بوتقة المشاركة الأشمل.

وعموماً غدت أخبار العنف الذي هو في الحقيقة أحد مصاديق الإرهاب الدولي , جزءاً كبيراً من الحياة اليومية للمجتمعات في عالمنا الحاضر , فلم تعدّ تقتصر أخباره على رقعة جغرافية معيّنة , وإنما توسعت حتى غدت مشكلة دولية تتخذها دولة تفرض سياستها على شعب من الشعوب, لإشاعة الروح الانهزامية والرضوخ لمطالبها التعسفية أو تستعمل الإرهاب جماعة في تلك الدولة لترويع المدنيين لتحقيق أطماعها حتى تفرض الأقلية حكمها على الأكثرية , كما كان الحال في جنوب أفريقيا. ضمن هذا السياق قد تدعم بعض

www.SID.ir

Archive of SID
الحكومات سراً بعض الجماعة الإرهابية بتزويدها بالسلاح والتدريب والمال اللازم لتنفيذ هجماتهم الإرهابية التي يقومون بها[٢]، وهنا تتحول الحياة في نظر صانع العنف إلى حياة مريضة، تكثر فيها الميكروبات، وتتفشى فيها الأمراض والأزمات، ويضطرب فيها السلوك الاجتماعي، وتتشكل كل الظروف وعوامل الخصب لنمو ظاهرة العنف في تفريق كلمة الأمة.

السبيل إلى توحيد الصف الإسلامي:

الوحدة الإسلامية هي مطلب إسلامي مشروع، وطموح منشود ترتقي إليه النفس الإنسانية التي ترنو إلى الحب والسلام، وهدف عام مشترك يسعى لتحقيقه الذين آمنوا في مشارق الأرض ومغاربها، ناهيك عن كون الوحدة الإسلامية فريضة ربانية أوجبها الله تعالى على المؤمنين إقامتها، فقد أصبحت وحدة الأمة الإسلامية ضرورة تقتضيها مصلحة المسلمين، وتفرضها ضرورات وجودهم للوقوف أمام زحف الطامعين في أرضهم، وخيراتهم، وردتهم عن دينهم.

www.SID.ir
ثم إن وحدة الأمة الإسلامية هي الإطار الأمثل

Archive of SID
لإحساس الأفراد المسلمين بكرامتهم، وتميزهم برسالتهم العالمية.

وعلى الرغم من أن الوحدة الإسلامية أمنية غالبة، وفريضة ربانية، وهدف مشترك، وضرورة من ضرورات الحياة المعاصرة، إلا أن المسلمين مختلفون في وسائل تحقيقها، سلمياً وبدون عنف، بالحكمة والإقناع لا بالقوة والإكراه.

من هنا ولأجل كسب الناس و هدايتهم إلى الطريق الحق , نرى أن أئمة أهل البيت(ع) كان لهم الدور البارز في تغيير سلوك مَن يحُسبون عليهم الذين يكفرون الفرق الأخرى, ويذكر في هذا المجال ما رواه (الكافي) عن زرارة قال: (دخلت أنا وحمران أو أنا وبكير على الإمام الباقر(ع) قال قلت له: إنا نمد المطمار قال وما المطمار؟ قلت ألتر. فمن وافقنا من علوي أو غيره توليناه ومن خالفنا من علوي أو غيره برئنا منه فقال له يازرارة قول الله أصدق من قولك فأين الذين قال الله عز وجل<إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً>[٣]. أين المرجون لأمر الله أين الذين خلطوا عملاً صالحا وآخر سيئاً ؟ أين

www.SID.ir

Archive of SID
أصحاب الأعراف ؟ أين المؤلفة قلوبهم ؟ وزاد حماد في الحديث فقال : فارتفع صوت الإمام الباقر(ع) وصوتي حتى سمعه من على باب الدار[٤]. وهناك رواية أكثر إثارة رواها في الكافي عن هاشم صاحب البريد حيث يقول (كنت أنا ومحمد بن مسلم وأبو الخطاب مجتمعين فقال لنا أبو الخطاب: ما تقولون فيمن لا يعرف هذا الأمر[٥] ؟

فقلت: من لم يعرف هذا الأمر فهو كافر فقال محمد بن مسلم: سبحان الله ماله إذا لم يعرف ولم يجحد يكفر ؟ ليس بكافر إذا لم يجحد، فلما حججت دخلت على أبي عبد الله(ع) .فأخبرته بذلك قال: إنك حضرت وغابا ولكن موعدكم الليلة عند الجمرة الوسطى بمنى فلما كانت الليلة اجتمعنا عنده أنا وأبو الخطاب ومحمد بن مسلم فتناول وسادة فوضعها في صدره ثم قال لنا: ما تقولون في خدمكم ونسائكم وأهليكم, أليس يشهدون أن لا إله إلا الله قلت بلى قال أليس يصلون ويصومون ويحجون ؟ قلت بلى, قال فيعرفون ما أنتم عليه ؟ قلت لا: قال فما هم عندكم ؟ قلت فمن لم يعرف فهو كافر، قال سبحان الله أما رأيت أهل الطريق وأهل الحياة ؟ قلت بلى قال

www.SID.ir

Archive of SID
أليس يصلون ويصومون ويحجون؟ أليس يشهدون أن لا اله الاالله وأن محمداً رسول الله قلت بلى. قال فيعرفون ما أنتم عليه ؟ قلت لا. قال فما هم عندكم قلت من لم يعرف فهو كافر قال سبحان الله هذا قول الخوارج ثم قال إن شئتم أخبرتكم فقلت أنا: لا).

(يقول المرحوم آية الله الفيض الكاشاني: لما كان هاشم يعلم أن حكم الإمام صائر ضده قال لا) قال أما أنه شر عليكم أن تقولوا بشيء مالم تسمعوه منا، قال:فظننا أنه يديرنا على قول محمد بن مسلم)[٦].

وبهذه الروح الرياضية يعلّم أئمة أهل البيت(ع) شيعتهم ليكونوا صدراً رحباً يستوعب الآخرين مهما تنوعت أفكارهم واتجاهاتهم المذهبية, ولم يحكموا عليهم بالكفر منذ أول وهلة.

فأصبحت مسألة التكفير أمراً شبه معدومة في العهود الإسلامية الأولى إنما يصدر أمر التكفير على من ينكر العقيدة الإسلامية بملء إرادته وإختياره علنا أمام الناس عند ذلك يعلن عن كفره بذاته, أما من يصدر أحكامه بكفر أهل لا اله الا الله لإنهم يرفضون ما ينتمي إليه من أفكار وعقائد, فهو أمر فيه من

www.SID.ir

Archive of SID
المبالغة والغلو والتطرف وهذا الأمر يتنافى والخلق الإسلامي.

وهذا ما أشار إليه العلامة السيد محمد حسين الأمين بقوله: (أنا كرجل دين ضد التكفير وأعتقد أن الموضوع أخذ منحىً غرائزياً وهذا مؤسف جدا فهؤلاء يحشرون مسألة التكفير والردة والخروج عن الدين في مجالات هي من وجهة نظري لا تتحمل مثل هذه المبالغات إذ من الصعب أن يستطيع أحد إصدار حكم بالكفر على أحد آخر إلا عندما ينكر هذا الآخر بملء حريته واختياره العقيدة الدينية علناً أمام الناس. آنذاك هو يعلن عن كفره بذاته, أما أن آتي كرجل دين إلى آخر فأكفره فهذا أمر من المبالغة والتطرف ما يتنافى مع رصانة الدين, وهذا ما يذكرني بقول لأحد الأئمة الأجلاء وهو الإمام أبو حنيفة (ولو نطق الرجل بكلام يحتمل الكفر من سبعين وجهاً ولكنه يحتمل الإيمان من وجه واحد لحمل كلامه على الإيمان) فكيف نستطيع أن نكفر إنسانا ينطق بكلام فيه سبعون وجهاً للإيمان ووجه واحد فيه احتمال الكفر)[٧] ؟

www.SID.ir

لا شك بأن الوحدة ونبذ التنازع هدف يصبو

Archive of SID
إليه كل مسلم يريد الخير, ولابد من الإيمان بالتنوعات الموجودة في مجتمعاتنا الإسلامية, وهذا منتهى التلاقي والتفاهم بين المجاميع المتنوعة والمختلفة في رؤاها داخل الإطار الإسلامي العام بحيث تعترف كل طائفة وجماعة منها بانطباق عنوان الإسلام على الأخرى وعليه ليس كل حديث عن الاختلاف والمختلفين يعني الكفر, بل قد يقصد منه عكس ذلك أي ترسيخ المحبة والمودة بين أولئك المختلفين وذلك اعتمادا على أصلين.

الأول: أنهم إخوة مسلمون.

الثاني: أنهم أصحاب رأي قِوامه الأدلة التي قامت عندهم، فأحترم رأيهم وإن خطأتهم، والحصيلة أن المفهم والمطلوب مع التنوع والاختلاف العمل بقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا)[٨] وقوله عز وجل (وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُم)[٩].

والمشكلة الكبيرة وما نريد التركيز عليه في هذا المقام هو دور الحركات المتطرفة في بسط هيمنتها وقيمومتها في الساحة الإسلامية, والوحدة مع هذا الوجود الهامشي تكاد تكون شبه معدومة , وغير ممكنة مع وجود طرف لا

www.SID.ir

Archive of SID
يرى أن هناك مجالا للتلاقي مع الآخرين، بل ويتجاوز هذه المرحلة إلى اتهام الأطراف الأخرى بأنها ليست من الإسلام في شيء، فيحمل راية التكفير والإخراج من الملة، وهنا يطل شيطان التنازع والفشل برأسه بكل ما يحمل من مخاطر ونتائج مدمرة على الأمة.

إن وجود هذه الفئة وما تحمله من أفكار هدامة سيجر الأمة إلى الصراع الداخلي بل الاقتتال فيشكل أرضية هامة وأساسية للتدخلات الأجنبية التي نلمسها اليوم ونلمس الآلام والمآسي التي جلبتها للأمة وعمت الجميع ولم تختص بفئة دون أخرى، ولنا في قوله تعالى: (وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خاصة وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[١٠] عبرة.كلنا أمل يحدونا في شعور المخلصين إلى لعب دور أكثر فاعلية في الوقوف بحزم وهمة عالية تجاه هذه التيارات العابثة, وتوحيد الصف الإسلامي, والعمل على نشر روح المحبة والمودة بين مختلف الكيانات والطوائف الإسلامية. ونعتقد أن لمثل هذه المؤتمرات التي يسعى لعقدها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب والمؤسسات الإسلامية الاخرى لهو

www.SID.ir

Archive of SID

بادرة خير تبعث على السير باتجاه الوحدة وكشف المخططات التي تسعى إليها تلك الحركات الإرهابية وبيان زيفها، وهنا يتلخص الخير الذي نقصده وتكمن الفائدة المرجوة من كتابة هذه الأسطر.

الهوامش:

١ - مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٢٧- ٢٨ ص ١٩، خريف ١٩٨٣م مركز الانماء القومي- بيروت.
٢ - الموسوعة العربية العالمية , المملكة العربية السعودية , الرياض .ط٢ -١٩٩٩م, ج١ص٥٥٩.
٣ - النساء/ ٩٨ .
٤ - الكافي ج٢ص٣٨٢-٣٨٣.
٥ - أي الإمامة.
٦ - الكافي ج٢ص٤٠١-٤٠٢.
٧ - مجلة النبأ العدد ٩١٦-التأريخ ٢٨-٣- ١٩٩٨مقابلة مع السيد ألأمين.
٨ - آل عمران/ ١٠٣.
٩ - الأنفال / ٤٣.
١٠ - الأنفال / ٢٥.

www.SID.ir